أنساق الإشارة ووظائفها الدلالية
في الحديث النبوي الشريف

منال محرم عبد المجيد (*)

الملخص

يرصد هذا البحث مزية من مزايا أسلوبه السامي ﷺ وإحدى فرائد عقده البياني الشريف، سلسلة من العلاقات الدلالية حملها بعض من أحاديثه الشريفة أفعالاً قام بها ﷺ، واليوم صارت علوماً تُدرس، ويفيد البحث من جملة علوم مختلفة يربط بينها وبين بيانه النبوي غير الملفوظ عددا من المضامين العلائقية بين اللغة والفكرة والقصد والتأول والترميز، انبثقت كلها من حقل العلامات الإشارية في كفاية تواصلية، لذلك جمعنا حزمة من النظريات بين بلاغية ونفسية وسيميولوجية وأفدنا من علوم الفراسة والاتصال والإشارة بكل ما تمنحه، من أنساق وأدوات لتحليل النص.

كما حاولنا جميع خيوط السياق كلها من اتصال قوليّ إلى اتصال حركيّ، إلى اتصال بصريّ، وهو ما أطلق عليه الحديث المسلسل، ذلك الحديث الذي يتميز بتضمنه ونقله للعناصر السياقية بكل مدلولاتها. كما رصدنا الأدوات الوظيفية التي قامت بها إشاراته ﷺ في غيض من فيض أحاديثه الشريفة، والتي بلغت جميعها من البديع السامي والبيان البليغ والمعاني الشريفة ما جعلها أهلاً للدرس والعناية في كل زمان.

* المدرس بقسم اللغة العربية – وآدابها – كلية الآداب – جامعة عين شمس

Systems Of Gesture And Their Sematics Functions On The Noble Hadith

Manal Moharam Abd-Elmagid

Abstract

This research follows one of the merits of the exalted style of PROPHET MOHAMMAD (peace and mercy be upon him) on his NOBLE HADITH.it follows arroup of semantic Ralations which related to his ACTIONS on his NOBLE HADITH, that actions which become whole sciences today.this research made use of some different sciences, and join them to the soundless speech of PROPHET MOHAMMAD (pease and mercy be upon him) and with some relational meaning between language, concepts, intention, construction and encoding .all of these things sprang from the field of signs.so we collected agroup of theories, such as: rhetoric,psychology and semiology. and we also made use of physiognomy, connection and sign in analyzing the texts.

We tried to gatheer all the ways of the context,such as: verbal contact,motional contact,and visual contact,what so colled comprehensive speech,which is characterized by conveyance of all the contexial elements, with all its significations.we also followed the functional tools,that took place on his signs (pease and mercy be upon him)in some of his eloquent NOBLE HADITH,that worth to be studied in all times.

تمهيد

الحديث لغة " هو: ما تُخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك. سُمِّى حديثاً لأنه لا تقُدم له ؛ وإنما هو شئ حدث لك فحَدَّثت به".[1]

أما فى اصطلاح المحدِّثين فإن الحديث والسُّنَّة لهما المدلول نفسه، فى أنهما كلّ ما إضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو صفة – خِلقية أو خُلقية، وما يتصل بالرسالة من أحواله الشريفة، قبل البعثة ونحو ذلك.[2]

واصطلح العلماء على أن الرسول ﷺ قد ترك لنا آثاره الشريفة من قولٍ وفعلٍ وتقرير، لذا توزَّعت دراسات الحديث حول المحاور الثلاثة، وتركز هذه الدراسة على المحور الثاني منها وهو أفعال الرسول ﷺ ؛ وخاصة المتزامنة مع أقواله للأحاديث الشريفة، والتى جاءت مؤكدة وموضِّحة للمعنى تارة،ولافتة للانتباه تارة أخرى،ومنبه للغافل تارة ثالثة، وكلها معينة على الحفظ وسرعة التذكُّر ؛ لأنها أرسخ فى الذهن، وأقرب لمكنون النفس.

هذا وقد ارتبط البيان النبوي غير اللفظي بعدة مصطلحات تقترب منه فى وجه أو أوجه متعددة تخدم كلها فى النهاية هدف توصيل المعنى على أكمل وجه.

من هذه المصطلحات جمعنا أقربها للبيان النبويّ غبر اللفظّي وجعلناها المحور الأول للدراسة، ثم يأتى المحور الثاني والأخير ليقدِّم دراسة تطبيقية على بعض الأحاديث النبوية الشريفة المعنية بمصاحبة الإشارة للكلمة، وتعاونهما معاً لإتمام عملية التوصيل فى أحسن صورها.

المحور الأول:

1- مفهوم البيان وأنواعه
2- بين البيان والإشارة
3- بين البيان والاتصال أو التواصل غير اللفظي
4- بين البيان والسيميائية
5- بين البيان ولغة الجسم أو الجسد
6- بين البيان والحواس
7- بين البيان والوسائل التعليمية التربوية

وتدخل مفاهيم أخرى فى الإطار التعرفي العلائقى والدلالي مثل: الوحى – الفراسة – لغة الحواس – الرمز.

أولاً: مفهوم البيان وأنواعه.

البيان هو:" اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى".[3]

وهذا التعريف يُدخل كل أجناس الأدلة المفهمة الموضحة، ويتضح ذلك فى تقسيم الجاحظ لأصناف الدلالات على المعاني فى لفظ وغير لفظ إلى خمسة: **أولها** اللفظ، و**ثانيها** الإشارة، و**ثالثها** العقد، و**رابعها** الخط، و**خامسها** الحال التي تُسَمَّى نصبة.[4]

والبيان الذي ارتبط كثيراً بمفهوم القول والكلام المنطوق يحمل مدلولاً آخر فى العربية، فكما كان العرب يطلقون القول على اللفظ، أطلقوه كذلك على الفعل، قال ابن الأثير: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول " قال بيده: أي أخذ، وقال برجله: أي مشى، وقالت له العينان سمعاً وطاعة: أي أومأت، وقال الماء على يده: أي قلب وقال بثوبه: أي رفعه، وكل ذلك على المجاز والاتساع ".[5]

والبيان تعليم ربّاني ومزيَّة منحها الله للبشر قال تعالي: " الرحمن،خلق الإنسان، علّمه البيان ". [6]ومن ثم فإن الإفصاح والإبلاغ فى إيضاح هو الأولى.

ويرتبط البيان بتوصيل المعنى بأداء سليم، وتوظيف الإمكانات الهائلة الممنوحة له بهدف المعرفة والتعليم.

فالعبادة الآتية من المعرفة واليقين أرسخ من عبادة التقليد الظاهري دون فهم.

وقد أكد الزركشى على صحة البيان بالأفعال عند الرسول صلى الله عليه وسلم نظراً لأنه " أحد أنواع البيان، فيمكن استعماله لما كان واسطة لتبليغ الشريعة وبيانها، فإنه يبين بالطريقة التي يختارها. فإما أن يبين المشكل بأقواله أو بأفعاله. فلما صَحّ البيان بالأقوال لكونها دليلاً على المطلوب، فكذلك يصح البيان بالأفعال حيث تدل على المطلوب".[7]

والإشارة من عناصر الدلالة والبيان، لذا حدد الجاحظ البلاغة فى وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحُسن الإشارة. [8]

ثانيا: البيان (الفعلىّ) والإشارة.

سبقت اللغة غير اللفظية اللغة اللفظية فى استخدام الإنسان الأول لها ليعبر عن مطالبه واحتياجاته " لكيّ يتمكن من نقل بعض المعلومات، وتبادل الخبرات، وتشمل اللغة غير اللفظية الإشارة والحركات والأفعال "[9]

ولعله وجد فى الإشارة من الاتساع والوفرة فى الأدوات ما سهّل له عملية الاتصال بالآخرين، ففي دراسة حديثة قدمهاRichardpaget نجد أن "الفرد بإمكانه أن يؤدى.....7 إيماءة أو إشارة مختلفة، وبذلك فإن عدد الإشارات أكثر من قوائم الكلمات المتداولة فى أوسع القواميس الإنجليزية، وهى لا يزيد عدد كلماتها عن 1000000 كلمة.[10]

ومن ثم فإن لهذه اللغة دور كبير فى تلقى الآخرين للرسالة وفهم إيحاءاتها أو الوصول لمدلولاتها.

هذا وقد أكدَّ العلماء على أن الإشارة أمر حيويّ ومتغيِّر بحسب المجتمع الذي يستعملها، وإلى أي مدى وصل من الوعي الثقافي والفكري ذلك أن هذه الإشارات والحركات تخضع " للطبيعة الثقافية للمجتمع، ما يجعل الاتصال غير اللفظي وثيق الصلة بالخصوصية الثقافية، ومتأثراً بها.[11]

غير أن هذه الخصوصية لم تمنع تواجد هذه اللغة الرمزية أو الإشارية فى كل الثقافات والحضارات ؛ ذلك أنها أشبه بالأمر الفطري الذي نشأ مع الخليقة، وتطوّر ليحمل كافة أشكال الرسائل والمعلومات والدلالات الموحية والمؤثرة فى الوقت نفسه.

وقد يوسِّع البعض الآخر دائرة الخصوصية الثقافية والمجتمعية للإشارة فيذهب إلى أنها " لغة " إنسانية يستطيع أن يتفاهم بها ناسٌ من بلادٍ مختلفة لا يعرف بعضهم لغة بعض، كما يتفاهم بها البكم فيما بينهم، ومع الناطقين أيضاً.وهى إذا كانت فى محلّها كانت معينةً على الفهم، ملفتةً للنظر، طاردة للشرود، مشركةً فى المتابعة أكثر من حاسة، فالناظر يرى الإشارة، ويسمع العبارة، ويذكر كلاً منهما بالأخرى".[12]إذاً الإشارة " لغة " عامة عالمية.[13]

أما بالنسبة لقوله " إذا كانت فى محلّها فهو ما ينطبق على الرسول صلى الله عليه وسلم، قولاً وفعلاً وتقريراً، وكيف لا، وقد تعلَّم البيان والفصاحة من المولى عزّ وجل، قال تعالى:- " وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى [14]إذاً فقد كان صلى الله عليه وسلَّم ينفذ أوامر المولى عزّ وجل، قال تعالى:- " وإن تطيعوه تهتدوا، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ".[15]

هذا وقد شُهد له ﷺ بفصاحة اللسان وبراعة البيان، إلى جانب إجادة الأداء، وحسن استخدام كافة موصِّلات الرسائل التعليمية الحديثة [16]وكان ذلك أمراً طبيعياً فى المعلم الأعظم صلوات الله عليه إذ إنه – بتوفيق من الله – التفت إلى فكرة تنويع الأساليب دفعاً للملل، وتصحيحاً وإقناعاً للسامعين بهدف إرساء دعائم مجتمع إسلامي قويم. ونجده ﷺ يستخدم وسائل مختلفة بحسب ما يتفق وطبيعة الموضوع وحالة المتلقي ومدى استعداده، هذا إلى جانب مراعاته صلى الله عليه وسلم عدم التكلفُ أو الإغراب.

وهى لفتات نفسية له صلى الله عليه وسلم، فكما كان يُراعى قاعدة" مراعاة الكلام لمقتضى الحال"، فقد راعى كذلك فكرة توافق الإشارة وانسجامها مع اللفظة المقولة مما حدا بالسامعين إلى الإذعان لإرشاداته وتعاليمه الشريفة.

وللصحابة مكانة كُبرى عند رسول الله ﷺ، لذا فقد آثرهم، واختار لهم ما يحرِّك نفوسهم لأنه " قد تكفى اللمحة والإشارة فى الانصياع للحق عند أصحاب النفوس الصافية، وقد تحتاج النفوس التي رانت عليها سحابة الجهل وغشيتها ظلمة الباطل إلى مطارق الزجر وصيغ التأكيد حتى يتزحزح نكيرها. [17]

من هنا قامت الإشارة فى بعض الأحاديث النبوية مقام النطق بالكلمات

ونظراً لما للإشارة من تأثير قوى فى توصيل المعنى، فإنها تعادل الكلام أهمية. قال الإمام القرطبى رحمه الله فى تفسير قوله تعالى:- " قال رب اجعل لي آية، قال آيتك ألاّ تكلّم الناس ثلاثة أيام إلاّ رمزاً، واذكر ربك كثيراً، وسبحّ بالعشىّ

والإبكار"[18]وفي هذه الآية دليل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام، ذلك موجود في كثير من السُّنة، وأكد الإشارات ما حكم به النبي ﷺ من أمر السوداء حين قال لها: أين الله ؟ فإشارت برأسها إلى السماء فقال: أعتقها فإنها مؤتمنة، فأجاز الإسلام بالإشارة الذي هو أصل الديانة... فيجب أن تكون الإشارة عاملة في سائر الديانة، وهو قول عامة الفقهاء. ويضيف قائلاً " وكيف لا، وقد أخبر الله تعالى عن مريم فقال: " فأشارت إليه " ؟ وفهم منها القوم مقصودها وغرضها ".[19]

والإشارة والرمز مترادفان، ففي اللسان:"وأشار إليه شوّر أوماً، وأشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيديه، وأشرت إليه أي لوّحت إليه " [20]

ويأتي هنا مصطلح " الرمز " فيشمل الإشارة بكل الحواس والأعضاء المصاحبة. وقد عُرفت الإشارة بأنها رموز إيمائية في نظام حسيّ بصريّ يدويّ، يقوم على أساس الربط بين الإشارة والدلالة.

كما ترتبط الإشارة بالدلالة الوضعية غير اللفظية " والعرب قد يسمّون كل إفهام ودلالة يقصدها الدال قولاً، سواء أكانت باللفظ، أم بالإشارة، أم بالعقد – عقد الأصابع ".[21] ومن ثم كانت الإشارة قسماً لا يُستهان به من أقسام الدلالة.

وقد التفت ابن تيمية إلى ذلك مؤكداً على كل صاحب رسالة يريد إبلاغها والعمل بها أن يسلك كل سُبل الأدلة. " فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان عمل بمقتضاه سواء كان بإشارة أو كتابة أو بإيماءة أو دلالة عقلية أو قرينة حالية، أو عادة له مطردة لا يخلُّ بها، أو من مقتضى كماله وكمال أسمائه وصفاته، وأنه يمتنع منه إرادة ما هو معلوم الفساد، وترك إرادة ما هو متيقن مصلحته".[22]

مما سبق يمكن القول إن الإشارة لغة تفصح عن مكنون النفس الإنسانية، وتوظف أعضاء الجسم لتحقيق هذا الهدف.

وقد جُمعِت أسباب ومبررات استخدام اللغة الرمزية " غير اللفظية في عملية التواصل في خمسة تبريرات هي:-

أولاً: نقص الترميز اللفظي في بعض المجالات.

ثانياً: إن الرموز غير اللفظية أكثر قوة، لأن إدراكها يتم مباشرة، وتكون الاستجابات غير اللفظية أكثر فورية.

ثالثاً: يصعب التحكُّم في الرموز غير اللفظية، مما يكسبها مصداقية.

رابعاً:يمكن الاستعاضة عن الرموز اللفظية بالرموز غير اللفظية في إيصال المضمون بكيفية ضمنية.

خامساً: تعتبر القدرة على استخدام قناة ثانية إلى جانب اللغة أمراً مفيداً، خاصة إذا كانت هذه القناة تحمل قدراً كبيراً من المعلومات التي تدعم اللغة، لكن التعبير عنها بالرموز اللفظية أمر مُربك وغير ملائم [23].

ومن ثم فان الإشارة أقوى وأسرع في ترجمة المعنى فكل حركة من أعضاء

الجسم – وبخاصة حركة اليدين والأصابع – ترسل معنىً، وتحمل انطباعاً، وتوصل دلالة ربما أقوى من الألفاظ المنطوقة فى بعض الأحيان ؛ بدليل أنه " إذا تعارضت الإشارة المصاحبة للكلمة المنطوقة – ورغم إرباك المتلقي – فإن رسالة الإشارة تكون أقوى تأثيراً، وأرسخ من الكلمة المصاحبة لها،ولذلك قالوا: " رُبّ إشارة أبلغ من عبارة ".[24]

وقد قعَّد السيوطى فى ذلك قاعدة مفادها أنه:– " إذا اجتمعت الإشارة والعبارة، واختلف موجبهما قُدِّمت الإشارة " ومع هذا وجدنا من العلماء مَّنْ يذهب إلى أن اللغة الملفوظة أو المنطوقة أكثر إفصاحاً عن مراد المتحدث من الإشارة أو الرمز؛ " لان الإشارة قد لا ينتبه لها إلا العدد القليل عندما لا يكون هناك داع لاستعمالها ". لكنه يعود فيؤكد أهميتها وضرورة استخدامها بشروط، فالإشارة أكثر تأثيراً وأوضح دلالة إذا اقترنت بما يدلّ عليها، وهذا بيان ذلك:

– قد تأتى الإشارة بعد سؤال وطلب، ومعلوم أن السؤال يحتاج إلى جواب، وعندما لا يسمع السائل ومن معه الجواب، فالتصرف المتوقع منهم أن تشخص أبصارهم إلى المتكلم فيتلقون الإشارة.

– وقد تأتى الإشارة مقترنة بألفاظ داله.[25]

وقد أكد العلماء منذ القدم على ضرورة حدوث التوافق والمواءمة بين الإشارة واللفظ. ذلك لأنه " على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كانت أنفع وأنجع.[26]

ولو لم يوقن الصحابة رضوان الله عليهم هذا الدور الذي تلعبه الإشارة فى توصيل المعنى، لما حرصوا على نقل " كافة الأسباب والوقائع والأحوال التي جاءت لها الأحكام بسياقها واتساقها وأحداثها وأحوالها. وكأنك تراها رأى العين".[27]

وترتبط الإشارة بلفظ الوحي " فأصل الإيحاء عند الطبرى هو " إلقاء الموحى إلى الموحي إليه، وذلك يكون بكتاب، وإشارة، وإيماء، والهام، وبرسالة." ولذلك قالوا: الوحي: الإشارة والكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه، فهو وحي كيف كان....

وقال الراغب الأصفهانى " أصل الوحى: الإشارة السريعة، ولتضُّمن السرعة قيل: أمروجي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة.[28]

ثالثاً: البيان والاتصال غير اللفظي

أي سياق هو شكل من أشكال الاتصال، أو التواصل، ذلك أنه قد يحمل لغة منطوقة أو غير منطوقة تبلّغ رسالة إلى جمهور المُتلقيِّن بدرجةٍ تمحو عنها

الالتباس والظّن، وتوصّلهم إلى دلالات المعاني، وتجعلهم يستوعبون مقاصدها بسهولة ودقة.وكأنها لغة، ولكنها " لغة صامته سننها ضمنيّ".[29]

لذلك فمنظومة التواصل أو الاتصال هي مجموعة متنوعة من السياقات الدلالية المختلفة التي يتكامل بعضها مع البعض. وللاتصال أهمية كبرى فى حياة الشعوب إذ إنه " ضرورة إنسانية "، واجتماعية، وحضارية، وعلمية حياتية ديناميكية... بدونه لا يعيش الإنسان، ولا ينمو، ويتطور...ولولاه لما وجدنا عالم اليوم بالشكل الذي نراه بكل ما فيه من حضارات، وثقافات، وعلوم، وتجارب.. وهو بالصوت وبالرمز وبالحرف وبالإشارة وبالكلمة.. وبكل ما يمكن أن ينقل تجربة أو رسالة من شخص إلى آخر، ومن شخص إلى جماعة، ومن جماعة إلى أخرى ".[30]

والاتصال نوعان:-

1- اتصال لفظي. 2- اتصال غير لفظي.

" وتحفل الدراسات الاتصالية بالحديث عن الاتصال غير اللفظي، ودوره المحوريّ فى العملية الاتصالية، ودلالاته الحميمة، ومراميه البلاغية، وأبعاده الثقافية الغنية والواسعة "[31]

وقد كان الرسول ﷺ مدركاً لضرورة التكامل بين شقّي عملية الاتصال " فالاتصال الناطق لا يتمُّ بمعزل عن سائل التواصل والتفاهم الأخرى كالحركة والإشارة، فكثيراً ما تكون هذه مصاحبة للكلام المنطوق وغير منفصلة عنه ".[32]

والعلاقات الرابطة بين شكليّ الاتصال (اللفظي وغير اللفظي) قد تتخذ أوصافاً عِدَّة كأن تكون علاقة تكاملية، أو علاقة مصاحبة وشراكة وملازمة وجوار، وربما تكون علاقة اختزالية للكثير من الكلمات فى القليل من الإشارات... وما إلى ذلك من أشكال علائقية تربط بين اللفظ والإشارة، وتوظفهما توظيفاً دقيقاً للوصول إلى مغزى المعنى " فالإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ... ولولا الإشارة لما تفهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة".[33]

هذا وقد أجملت عناصر الاتصال الإنساني فيما يلي:-

1- المصدر / المرسل: وهو مُنشئ الرسالة، وقد يكون شخصاً يتكلم أو يكتب.

2- الرسالة: وهى أساس عملية الاتصال، وقد تكون على شكل كلمة مطبوعة أو مكتوبة، أو موجات صوتية، أو إشارة باليد، أو عبوس فى الوجه، أو غير ذلك.

3- الوسيلة القناة: وهى الإدارة التي تنقل الرسالة من المُرسِل إلى المستقبل، وقد تكون سمعية أو بصرية أو حسية.

4- المستقبل: وهو هدف عملية الاتصال، وقد يكون المستقبل رَجلاً، أو امرأة، أو صديقاً، أو عدواً.

5- الاستجابة / التغذية الراجعة: وهى مدى قبول الرسالة أو رفضها، وقد تكون سريعة أو بطيئة أو إيجابية أو سلبية.

6- التأثير: وهو المحصلة النهائية للاتصال، ويترك أثراً فى معلومات المستقبل أو اتجاهاته أو سلوكه.[34]

وقد أضافت دراسة أخرى عنصراً تأثيرياً آخر متمثلاً فى:

7- البيئة: " وهى المحيط الذي يتم فيه إجراء عملية الاتصال، وتساعد على فهم عملية الاتصال، وتحديد أسلوب الاتصال ووسائله، وحجمه ونوعه ".[35]

رابعاً: بين البيان ولغة الجسم أو الجسد.

إن تتُّبعاً بسيطاً للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المخصصة للجسد والمرأة ومسائل النكاح، ونظرة خاطفة على كتب الآداب المتخصصة، وكذا تصفُّحا سريعاً لما تخصصه كتب اللغة والفروق لأسماء الجسد... ليؤكد على الحظوة الخطابية التي تمتع بها موضوع الجسد بوصفه موضوعاً لغوياً وشرعياً وأدبياً.[36]

وهناك مَنْ جمع بين لغة الجسد والإشارات والتواصل فى تعريف واحد يحمل المدلول ذاته، فعرَّف لغة الجسد بأنها: " مجموعة من الإشارات والمواقف، تعتمد فى إصدارها على المشاعر الداخلية والحالات الذهنية للمتحدث يرسلها ليعبِّر بها عن معاني يرغب فى إرسالها لمن يتواصل معه".[37]

ويدخل ضمن هذا مصطلح " التصوير بالحركة ": ويقصد به التعبير عن المعاني المتنوعة في التركيب اللغوي بحركات كاشفة لأحوال النفس الإنسانية من مشاعر وانفعالات".[38]

وقد أكد المؤلف على الدور الفاعل الذي تقوم به الحركة المصاحبة للمعنى من أنه " أوقع فى النفس مما لو جاء غفلاً عنها، ويزداد المعنى قوةً فى الأداء، وكشفاً لدواخل النفس ومضمراتها حتى تقترن بالبيان القوليّ حركات تجسد المعنى حيّاً شاخصاً.

ونعود فنقول " إن فى بعض حركات الجسد لغة، وتتكلم الأعضاء بلغة خاصة لا تعبّر عنها الكلمة، فالعضو يكشف عن مشكلة أو يكون كلامه تعبيراً عن مكبوتٍ أو غامض".[39]

ونُعرَّف حركات الجسد أو " الكلام الجسدي بأنها: " حركات ترافق لغة الكلام، فهذه الحركات تعبيرية، وليست فقط مساندة أو موضحة... فالحركات بنية إخبارية إعلامية بواسطة علامات طبيعية تحلّ محلّ الصوت.[40]

ويشمل " حديث الجسد" عدة معايير منها: المبيّنات (أو الموضّحات): أي الحركات والإشارات المصاحبة للكلام، والتي تسمح بتوضيحه.[41]

والجسد هو المسؤول الأول عن نقل الإشارات والرموز إلى العالم الخارجيّ، ومن ثم يشكّل: " المنظومة الرمزية العامة للعالم، فإن المجتمع هو الذي

ينحت رموزه فيه عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة التى تجعل من أجساد الأفراد أجساداً خاضعة مطيعة".[42]

وينبغي أن تُدرس لغة الجسد فى إطار جهوىّ ؛ وذلك باعتبار الجسد " كياناً أولياً متعدد الدلالات والوظائف، يخترق بإيحاء مجموعة من المباحث والعلوم من الطب إلى علم الأديان مروراً بالفلسفة والعلوم الإنسانية والأدب، وهو ما يجعل من مقاربته أو تناوله بالبحث محكوماً بالجهوية، حتى لو ابتغى الشمول والكلية".[43]

وقد غدا " الجسد النبوي الشريف " نموذجاً قيمياً وسلوكياً " فى هذا المجال لا يقل قيمة عن النموذج الخطابي النبوي فى بناء الصورة العامة لإيمانية المسلم".[44]

ويرتبط هذا المفهوم بعلم الفراسة: " وهو العلم الذي يبحث فى ظواهر الناس ليكشف بواطنهم، وتُعرّف الفراسة اصطلاحاً على أنها الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الباطنة ويعرّفها البعض على أنها معرفة أخلاق وطباع وأحوال البشر دون اتصال مباشر بهم.[45]

وقد أشار الرسول ﷺ إلى أن هذه السمة تميّز كل مؤمن، فقال ﷺ: " اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله" رواه الترمذي، ويلتقي هذا بقوله تعالى: " خلق الإنسان، علّمه البيان [46]إذاً فالفِراسة علم إلهى أعطاه لمن شاء من عباده ممن شُهد لهم بالذكاء والمعرفة.

و" فراسة الإيماءات والحركات " هي المعنية بالدراسة الحالية، أو كما أطلقت عليها الدراسات الحديثة علم " الكنيسيكز ".

وقد اهتم علماء العرب بهذا العلم، وقد نقلوه فى اليونانيين، غير أنهم طوّروه وقعّدوا له، ومن هؤلاء " ابن سينا " الذي أشار إليه فى إحدى رسائله، ثم افرد له العلماء كُتُباً ومؤلفات، ومنهم نذكر: الرازي، وابن رشد، والشافعّي، وشمس الدين الأنصاري.

خامساً: البيان والوسائل التعليمية (التربوية).

رسم الرسول صلى الله عليه وسلّم منهجاً للإقتداء ؛ إذ كانت أعماله نموذجاً تربوياً تعليمياً، سواء أكان ذلك بالتوجيه المباشر، أو التلميح عن طريق الوسائل والطرائق المختلفة.

وقد عُنى الباحثون بتصنيف هذه الطرائق التعليمية وإظهار مميزاتها وأهميتها. قال صلى الله عليه وسلّم " إنما بُعثت معلماً [47]، وقد ذكر القرآن الكريم المهمة التعليمية لشخصه الشريف صلى الله عليه وسلّم فى أكثر من موضع من ذلك قوله تعالى: " هو الذي بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياتهم ويزكيِّهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين".[48]وكذلك قوله تعالى " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"[49]وقوله عزّ وجلّ: " فإذا أمنتم فاذكرو الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ".[50]وفى موضع

رابع:" إن هو إلاّ وحى يُوحى علّمه شديد القوى" [51]وآخر خامس: " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث".[52]

والمواضع كثيرة، تلك التي ذكرت فيها العملية النبوية التعليمية بأهدافها التربوية، والتي يتضح من خلالها أن الرسول صلى الله عليه وسلّم كان مبعوثاً لأداء هذه المهمة، ومن ثم فقد ألقي العلم فى قلبه الشريف لينير به قلوب وأفهام البشر إلى يوم يبُعثون.

ولعل فى لفظة "يجتبيك ربك" الإيحاء اللازم بقداسة العملية التعليمية النبوية، ومدى رفعة مكانتها ؛ ذلك لأسباب منها أن:

1- العلم هنا هو فيض ربّاني، ومن ثمّ لاشك فى نفعه للعالمين.

2- هذا إلى جانب أن التعليم هنا اخرج الناس " من الظلمات إلى النور" ومن ثم فقد أرشدهم، وغير من سلوكياتهم السلبية، وحوّلهم من جُهّال إلى " قوم يعلمون".

3- الربط بين " يزكيّهم " و" يعلّمهم " فيه عظمة البلاغة القرآنية، ففي العلم طهارة وتزكية للروح عن أدرانها، وللنفس عن ذلاّتها، وتقويم للعقل عن شططه.

ونعود إلى الحقل التعليميّ فنعرِّف ما هي " طريقة التدريس" فنقول إنها: " جميع أوجّه النشاط الموجه الذي يقوم به المدرس بغية مساعدة تلاميذه على تحقيق التغيير المنشود فى سلوكهم، وبالتالي مساعدتهم على اكتساب: المعنى والمعارف والمهارات، والعادات، والاتجاهات، والميول، والقيم المرغوبة ".[53]

ولسنا هنا بصدد التفريق بين الطرائق والوسائل والأساليب فكلها عندنا تصّب فى معين الفكرة نفسها، وهى الدور التربوي التعليمي الذي قام به الرسول صلى الله عليه وسلّم فى حياة الأمة، متمثلة فى بذرتها الأولى من الصحابة والتابعين، ومستمرة إلى يوم الدين.

لقد تتبعت بعض الدراسات الحديثة حول المسألة التعليمية وثبت أن من يستطيعون التواصل بنجاح يمتلكون القدرة على جذب كافة الحواس لدى جمهورهم، وذلك عن طريق استخدام نوعين من المهارات فى مقياس دقيق، **النوع الأول:** هو المهارات اللفظية أو اللغة المستخدمة فى الكتابة والكلام، أما **النوع الثاني:** فهو المهارات غير اللفظية، وهى التي تعبر عن السياق غير المستخدم الذي يعطى المعنى الحقيقي، والذي يتضمن تعبيرات الوجه، ولغة الجسم والصفات الصوتية ؛ كالارتقاء والحدّة والسرعة".[54]

ويظهر هنا دور الحواس فى عملية التلقيّ والإدراك، " ويؤكد علماء النفس أن الإدراك الحسيّ لشئ ما يقوى ويتعاظم لدى الفرد كلما اشترك فى إدراكه من الحواس عدد اكبر ".[55]

إذاً فحواس الإنسان أدوات لمعرفته، ووسائل يستخدمها للانفتاح على العالم الخارجي، بحيث تكون معطياتها الدلالية منطلقاً للتفكير والتدبرُّ وللحواس خطاب

فى القرآن الكريم يحدد مسؤوليتها ودورها، قال تعالى: " ولا تقفْ ما ليس لك بـه علم، إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا".(56)

إذا ينبغي على الإنسان أن يُعمل حواسه ولا يعطّلها، ذلك أنها " إحدى الوسائل الأساسية للمعرفة فى الإسلام، فقد انعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان بـالحواس التي تتمثل فى السمع والبصر والذوق والشم واللمس، وهـي أجهـزه ضـرورية لاكتساب المعرفة والعلم والقيام بمسؤوليات الحياة المتعددة".(57)

وقد التفت إلى أهمية الحواس ودورها التعليمي الفعّال من العلماء الأجلاء الإمام ابن تيمية الذي قال " إن الله جعل لابن ادم من الحسّ الظاهر والباطن ما يحسّ بـه الأشياء ويعرفها، فيعرف بسمعه وبصره وشمّه وذوقه ولمسه الظاهر ما يعـرف، ويعرف أيضاً بما يشهده ويحسه بنفسه وقلبه ما هو أعظم من ذلـك، فهـذه هـي الطرق التي تعرف بها الأشياء، فأما الكلام فلا يتضمن أن يعرف بمجرده مفردات الأشياء (58)

ولا بد من الإشارة إلى أن قوة الاتصال الصامت تتناسب طرديـاً مـع عـدد العناصر التأثيرية المجتمعة فى عملية الاتصال، فإذا اجتمعت لغة العيون مع تعبير الوجه، مع حركات الجسم، مع المظهر العام للإنسان، فإن عملية التأثير تكون أشد وأبلغ. والأقوى من كل ذلك أن يقترن الاتصال اللفظي والاتصال الـصامت فـى عملية اتصالية واحدة، عندها يكون الاتصال متكاملاً، وتكون المعاني التي ينقلهـا أكثر وضوحاً وأشد تأثيراً ".(59)

وهنا نقطة مهمة ينبغي الإشارة إليها، وهى مراعاة المعلـم لأحـوال سـامعيه وتفاوت درجاتهم فى الذكاء والخبرات، ولذلك عليه أن يأتي – وقد فعل معلم الأمة الأول – بوسائل تعليمية " متناسبة مع مستوى المتعلمـين وخبـراتهم، وملائمـة للموضوع والنقطة المراد توضيحها، وتأتى فى الوقت المناسب متكاملة مع طريقة التدريس المختارة، وهى أفضل الوسائل لتحقيق الهدف المراد، وأكثر تشويقاً وإعانة على التعليم".(60)

ولذلك كان جزءاً من خطته التعليمية صلى الله عليه وسلّم أن يـستخدم أفـضل الوسائل وأكثرها وقعاً فى نفس المتعلم، وأيسرها فى الفهـم، مراعيـاً مـستوياتهم العقلية وحالاتهم المزاجية، وحاجاتهم النفسية، فقد راعـى ﷺ حاجـات الإنـسان المختلفة، ولم يعبأ بالجانب المادي، وخاطب الإنسان بروحه وجسده ووجهّه نحـو القيم.

سادساً: بين البيان والسيمائية.

تصبُّ السيميائية والسيمولوجيا والعلاقات فى حقل دلاليّ واحد، وهـو دراسـة انساق العلاقات (لسانية أم غير لسانية)، منطوقة أم إشارية. وتأتي العلاقـات هنـا لتعبر عن الدلالات أو الدوال.

وقد عُربَ مصطلح السيميائية عن السيميولوجيا أو السيميوطيقيا، وهى علوم يونانية، لكن ذلك لم يمنع من وجود دراسات عربية قديمة درست هذا العلم ولكن بمصطلح آخر وهو، الأنساق الدلالية فى كافة أشكالها.

وينتهي الأمر بتعريف العلامة بشكل أكثر تبسيطا بالقول أنها مثل " مسار متحرك لإنتاج الدلالة وتداولها واستهلاكها، والذي ينتهي إلى الذوبان فى التقاليد وأشكال السلوك، ويتحول مع الزمن إلى عادة لدى الفرد، وقانوناً داخل المجتمع.

ويملك هذا المفهوم بعدين: **البعد التركيبي**، ويقصد به العلاقة بين العلامات، أى المعنى الذي تنتجه هذه العلاقة، **والبعد التداولي**، والمقصود به طريقة استخدام العلامات وتأويلها... فكل مجتمع يملك القدرة على التعبير عن وجوده الاجتماعي بشكل رمزيّ بفضل جملة من العلامات.[61]

وقد يصف البعض العالم كله بالإشاريّ، مثلما فعل "بورس" حين أكد أن " العالم مفعم بالإشارات هذا إذا لم يكن مكوناً فقط من الإشارات"[62]مما يجعل للإشارة أهمية كبرى، فقد وُلدت من رحم الحياة نفسها، وهى الابنة الشرعية للوجود الإنساني فى العالم الفسيح، لذلك فإن إتيان كل إشارة هو عمل مقصود بذاته وليس اعتباطياً أو غير إدارى ؛ وإنما يحمل كل منها حقلاً دلالياً، وقدرة عليا على البثّ والتواصل، وفى الدراسة الحالية كانت " اليد " بما تحمل من " أصابع " هي الأداة التعبيرية البيانية التواصلية – التحفزية التي جمعت بين الإمتاع والإقناع.

ومن إشاراته ﷺ استخدام الأصابع، وهو ما عُرف حديثاً بـ " الصبِّاعة " أو "الأبدية "، أو" الأيادة " وهو:" علم الإيماء العربي والصبِّاعة بالعين اللامنقوطة، مشتق من صبع: أى أومأ أو أشار بإصبعه".[63]

أما اليد فقد وردت فى اللسان مادة " يدي " قال ابن منظور:" واليد النعمة والإحسان تصطنعه، والمنَّة والصنيعه، وإنَّما سُميت " يداً " لأنها إنما تكون بالإعطاء، والإعطاء إنالة باليد، والجمع أيدٍ، وأياد جمع الجمع، و"يُدِىّ" و" يَدىّ "فى النعمة خاصة.

قال الأعشى:

فلن اذكر النعمان إلا بصالح فان له عندي يدياً وأنعما

وقال بشر بن أبى حازم:

تكن لك من قومي يَدُ يشكرونها وأيدي الندى فى الصالحين قروحه[64]

والصورة الحركية التي تتجلّى عليها اليد بما تحمل من أصابع، وبكل ما توصِّل من رسائل، جعلتنا نتفكَّر فى أحوال اليد كما وردت فى الأحاديث النبوية، وكيف اختلفت من سياق لآخر، وكيف تشكلَّت بحسب تعدد المواقف واختلاف الغايات والأهداف فى موضوع كلٍ منها، لذا استقصينا ورودها فى أحاديث كثيرة وصنَّفنا أحوالها الواردة فيها، والمعاني الدلالية المشتملة عليها، ومدى قدرتها على تمثيل الغايات المرجوة منها، وصولاً إلى أعلى درجات التلقي والاستيعاب والإقناع

والتأثير.

وقد استرفد ﷺما يقوم مقام اللفظ المنطوق (أى الاكتفاء بالإشارة)، وطرح الكلام فى مواضع كثيرة.

صور الأصابع، ووظائفها قراءة فى السياق الدلالي "

1- السبَّابة وحدها: (65)

قال رسول ﷺ: " والله ما الدنيا من الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه [وأشار يحيى بالسبَّابة] فى اليمّ فلينظر بم ترجع؟ ".(66)

ونستقى من هذا الحديث الشريف حقولاً دلالية بيانية منها:

1- أنه ﷺ – اختار إصبعاً واحداً ليدل على مدى حقارة الدنيا وضآلتها، فهي لا تستحق الإشارة إليها بأكثر من ذلك.

2- إشارته الشريفة إلى أن ما يحمل الإنسان من الدنيا ما هو إلاّ قشرة خارجية تكسوه، إما بالأوزار أو بالحسنات كُلٌ بحسب عمله وما كسب، ولنا بوصفنا متلقين – أن نتخيل الصورة، فها هو اليمّ (الحياة الدنيا)، وهاهو الإنسان على ضآلته أمام اتساع اليمّ ورحابته، وها هي تأثيرات الدنيا عليه تشكل مصيره الذي سينكشف يوم الحساب.

3- قسمه الشريف بلفظ المولى عزّ وجلّ يوحى بمدى جدية الأمر، وفيه أمر غير مباشر للسامع باستصغار أمر الدنيا، وعدم التكالب عليها. ومن ثم فقد أقسم ليؤكد خبر الحديثُ، ويلفت سامعيه إليهم.

4- وفى الصورة مقابلة مؤثرة بين الدنيا وموقعها وحجم قيمتها، أمام الآخرة بثوابتها واستمراريتها.

5- وفى تنكيره ﷺ للفظة أحدكم إيحاء بالخطاب الموجّه لكل سامع، وعموم اللفظ هنا جاء موفقاً ليستشعر كل متلقى للحديث أنه المعنيّ بالتوجيه والإرشاد.

6- والصورة كلها تشبيه، اتخذ من الإشارة دليلاً وبرهاناً على صدق المغزى؛ وذلك لإقناع السامع.

7- يعد استحضارهﷺ للصورة كاملة، وربطها بالهدف منها أو الدلالة التي رسُمت من اجلها تلك الصورة، استدعاء وإعمالاً للعقل، وتشغيلاً للإيحاء من قبل السامعين.

ومن ثَم فقد تحقق لنص الحديث الشريف (اللفظيّ وغير اللفظيّ) كافة جوانب التكامل بين السياقات المختلفة ومنها: البصريّ والحركيّ والبلاغيّ، مما يجلى المعنى ويوضحه.

وقد تستخدم الإشارة بالسبابة وحدها للتدليل على وحدانية الله، أو التوحيد، أو إشارة إلى الدعاء لله الواحد، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلَّم: عن عبدالله بن الزبير قال: " كانﷺ يشير بإصبعه إذا دعا ولا يحركها، ولا يجاوز بصره إشارته"

[67]، واللافت للنظر هنا الإلحاح على فكرة التشبث بهذا الإصبع، وكأن فى ضبط إشارته إجابة للدعاء، فى متتابعات من نفي إبعاد النظر، أو محاولة التجاوز بالتحريك، ومن ثم اكتسب هذا الإصبع هنا مكانة وأهمية وكأنه واصلة تصل بين العبد وربه، أو بين الأرض والسماء، ومنها قوله للذي كان يشير بإصبعه فى الدعاء: أحِّدْ أحِّدْ[68].

وللإصبع نفسه استخدام آخر، وهو الإشارة إلى المولى عزّ وجلّ – وهى إشارة تخيلية أجازها الرسول ﷺ فى أحاديث كثيرة – وهى بمد الإصبع أثناء الدعاء من ذلك قوله:" عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد سفراً أمال براحلته ومد إصبعه، وقال: اللهم أنت الصاحب فى السفر.." [69]

2- السبابة والوسطى (معاً):

إن العلائق الدلالية التي تجمع هذين الإصبعين تمتد فى حقول كثيرة، منها: الجمع، والتقارب، والاشتراك أو المشاركة فى المكان أو المصير، أو ربما يحملان معاً معنى المحدودية لا التوسع أو الاقتران المحبب.

وأكثر ما تكرر ورودهما معاً كان فى الحديث عن اليتيم، وبقليل من التفكير يمكن أن نعزو ذلك إلى مدى اهتمامه ﷺ باليتيم، ربما لأنه عاش إحساسه بالفقد أو لأنه " رحمة للعالمين "، فما بالنا بالحديث عن فئة من ضعفائهم المستحقين للعطف والرعاية.

لذا وجدناه ﷺ يقول: " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا، وقال بإصبعيه السبابة والوسطي ".[70] وفى رواية أخرى " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا " وأشار بالسبابة والوسطي، وفرج بينهما شيئاً. [71]وفى موضع ثالث يقول: من مسح رأس يتيم أو يتيمه – لم يمسحه إلاّ لله – له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده، كُنتُ أنا وهو فى الجنة كهاتين (وقرن بين إصبعيه)[72]. وفى موضع رابع يقول ﷺ: من آوى يتيماً أو يتيمين، ثم صبر واحتسب، كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين " وحرك إصبعيه السبابة والوسطي.[73]

ونستقى من هذه المواضيع السياقية المتعددة حقولاً دلالية مختلفة، قد تلتقي فى بعض الجوانب، وتنفرد بعض ألفاظها فى جوانب أخرى تحتمل معانى جديدة قد تضيف أو تعدّل من المفهوم الواصل للمتلقّي حتى لا يحدث اللبس، وبيان ما نذهب إليه كالتالي:

- فى الحديث الأول حمل السياق فكرة اقتران السّبّابة بالوسطي فى علاقة تجاوريه، ولكن قد يحدث الالتباس لدى المتلقي من مظنة تساوى الاثنين فى المكان والمكانة.
- وجاء الحديث الثاني بعبارة بليغة حين أضاف " وفرج بينهما شيئاً " والتفريج أي الإبعاد فى غير إقصاء، وهنا دليل على أن " كافل اليتيم " أو المخاطب المعنىّ

الموجَّه إليه الرسالة هنا، جدير بصحبته ﷺ، ولكن فى مكانه، دون المساس بمكانته ﷺ فستظل المساحة الربانية التي منحها له الله عز وجل، وستستمر حتى فى الجنة، وذلك حتى لا يتوهم غافل أو غير فطن أن هذه السبيل ستساويه بالمكانة السامية، وهو الأمر المستحيل. وفى اختيار لفظة " شيئاً " بلاغة تؤكد ما ذهبنا إليه.

- أما السياق الثالث فهو يضيف غنىً فى المعنى حين يشير إلى فعل " المسح " بما فيه من دلالات الحنوّ والرحمة، وقد ورد من الأحاديث ما يؤكد أن المسح على راس اليتيم لا يعالج جراح فقده لأبويه فقط، بل هو علاج ناجع كذلك لمن يُقدم على هذا الفعل بنيّة خالصة لله ومما يدل على ذلك مجموعة الأحاديث التي وردت فى مسند أحمد، ومنها: " عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له: امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين"[74]
- ويزيد الحديث ثراءً حين يصف مقدار الحسنات اللامحدود، والذي يحصله كافل اليتيم من مجرد إشارة بسيطة يستعمل فيها يده دون مجهود أو معاناة
- ثم يُختتم الحديث بعلاقة الاقتران والمصاحبة السامية المنشودة التي يأمل كل مؤمن أن ينالها.
- ويأتي الحديث الرابع ليوسّع من دائرة الكفالة، ويفتحها من يتيم إلى يتيمين وربما أكثر، وذلك كي يحبّب الفكرة ويرغّب فيها كلَّ من أراد أن يلحق بشخصه الكريم فى الجنة.
- والحق أن قمة الإبداع فى التصوير الحركي هنا حين وصفت إشارة الرسول ﷺ بـ " حركة إصبعيه " ففيها من دلالة التتابع ومحاولة اللحاق ما يوحى بأن كفالة اليتيم خطوة على طريق المسلم للجنة، واللحاق بصحبته الشريفة ﷺ، وكما قال الإمام الترمذي: لعل الحكمة فى كون كافل اليتيم يشبهه فى دخول الجنة أو شُبِّهت منزلته فى الجنة بالقرب من النبي أو منزلة النبي لكون النبي، شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أما دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك".[75]

ولهذا جاءت الأحاديث الشريفة تقرن بين الإصبعين المتجاورين، ولكن مع الاحتفاظ بالمقامات والمكانات، ولعل فى اختلاف طولي الإصبعين ما يؤكد ذلك، إذ إن بينهما بعض تفاوت يوحى باختلاف الحدود ويكفي كافل اليتيم نفحة الاقتران والمصاحبة ؛ بل ويزيد.

- من عال جاريتين حتى تدركا دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين.. وضم إصبعيه مشيراً إلى قرب ذلك منه، أى دخل مصاحباً لي قريباً منى "[76]

إن الإشارة التي تجمع الرسول مع المخاطب لها عمق تأثيري كبير ؛ إذ تسلط الضوء على قضية مهمة الأوهى التراحم والعطف على فئة من الضعفاء وهم الصغار، سواء أكانوا أيتاماً أم بناتاً، ونظراً لما تحدثه الإشارة هنا فى نفوس الآخرين من دمجهم معاً فى حالة انفعالية وجدانية واحدة، وكذلك فى حالة من الوعي الجمعيّ يعظّم القضية وأهمية الالتفات إليها.

والاقتران بينهما ليس لتحديد المكان أو المكانة فقط، وإنما يمكن اتخاذهما لتحديد المساحة المكانية، أو القدر الذي لا ينبغي تجاوزه، من ذلك قوله ﷺ: " عن أبى عثمان النهدى قال: كُتب إلينا عمر ونحن بأذربيجان، أن النبي نهى عن لبس الحرير إلا هكذا وصفَّ لنا النبيّ إصبعيه، ورفع زهير – أحد الرواة – الوسطي والسبابة.[77]

وهنا قامت الإصبعان بتمثيل حدود الله، وكأن مقام حاله ﷺ يردد قوله تعالى: " تلك حدود الله فل تعتدوها".[78]

ومع تتبع لاقتران السبابة والوسطي نجد أن الاقتران والملازمة ليس فقط على المستوى المكاني مثلما سبق، وإنما كذلك على المستوى الزماني، فالرسول الكريم أراد أن يصور لنا مدى اقتراب الساعة، وأن الدنيا مهما طالت قصيرة ؛ وجاء ذلك حتى لا يغتر الناس بها، وينسون أنها البداية الزائلة أما الآخرة " فهي الأبقى ".

من ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم عن سهل قال: قال ﷺ " بُعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو كهاتين " وقرن بين السبابة والوسطي. وفى رواية أخرى " ويشير بإصبعيه فيمدبهما[79]،وفى توفيق تام قام الرسول ﷺ باختيار صيغة المبنى للمجهول مفتتحاً بها الحديث الشريف، ولا يخفى ما لهذه الصيغة من دلالات التعظيم والتبجيل للفاعل،ــ وهى وسيلة جيدة للفت انتباه السامعين كذلك.

وتمت الحبكة – إذا صحّ التعبير – باختياره إشارة مناسبة تمام التناسب للسياق الدلاليّ أو هى تصوير إقتران الحدث زمانياً بعد نزول رسالته الشريفة، لأنه خاتم الأنبياء وع بعثته للناس بدأ العد التنازلى ليوم الحساب، ويحضرنا هنا قوله تعالى: " اقتربت الساعة وانشق القمر ".[80]

فمثلت الإصبعان فى اقترانها دلالة على عدم وجود فاصل زماني كبير، ودليل هذا الاقتران اللفظ القرآني اقتربت.

وحول فكرة الاقتران الحاني بين السبابة والوسطي نجد علاقة جديدة تنشأ فى سياق قوله ﷺ عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :" أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة ". وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطي، وفى اللسان مادة " حنا " روى عن النبي ﷺ انه قال: أنا وسفعاء الخدين الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين " وأشار بالوسطي والمسبحة، وفى رواية أخرى جمع بين السبابة والوسطي.

وسفعاء الخدين: هي المرأة التي تركت الزينة بعد وفاة زوجها فى سبيل تربية أبنائها، وبذلت نفسها حتى تغير لون بشرتها إلى السواد نتيجة الشحوب مما تكابده من المشقة والضنك.

والأصابع تحنو فى اجتماعها – وبخاصة السبابة والوسطي – وقديماً استخدمها العرب للتعبير عن ذلك فى أشعارهم، من ذلك قول الشاعر:

برك الزمان عليهم بحرانه وألح منك بحيث تحنى الإصبع

وكذلك قول الأسد:

فان عد مجدٌ أو قديم لمعشرٍ فقومي بهم تحنى هناك الأصابع

وقال ثعلب: معنى قوله " تحنى الإصبع " أن تقول: فلان صديقي، وفلان صديقي، فتعدُّ بأصابعك، وقال: فلان ممن لا تحنى عليه الأصابع، أى لا يُعَّد من الإخوان ".[81]

ومن ثم كانت إشارته الشريفة هنا مكافأة يمنحها للمرأة الأيم على صبرها، ورحمة حنوّاً منه عليها.

3-السَّبَّابة والإبهام معاً.

وننتقل إلى حقل دلالي جديد يربط بين إصبعين آخرين لهما علاقة خاصة مختلفة الدلالة عن سابقيهما ونقصد هنا: الإبهام والسبابة، فكما أن السبابة والوسطي بينهما من الترابط والاقتران ما يستدعى دلالات تخدم هذا المعنى، فان التقاء الإبهام والسبابة يحمل معاني مختلفة تماما بحسب وضعية كلٍ منهما، فإذا التقى طرف السبابة مع أصل الإبهام وشكلا حلقة محكمة شابهت " الحيّة المطوقة "[82] دلت على العدد (90) فيما يُسَمَّى " العقْد" وهو:" اصطلاح " تواضعه العرب بينهم استغناء عن اللفظ [83]من ذلك قوله ﷺ: ويل للعرب، من شر قد اقترب، اليوم فتح من ردم يأجوج ومأجوج هكذا (وأشار بإصبعيه السبابة والإبهام، وحلّق بينهما.وفى رواية أخرى " وحلقّ بإصبعيه: الإبهام والتي تليها، قيل يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث) [84]

أى صنع منهما حلقة بالتقاء طرفيهما، " والعقد هو الحساب، دون اللفظ والخط، ويكون بأصابع اليدين، يقال له حساب اليد".[85]

وقد استخدم ﷺ العقد كذلك فى التسبيح بعد الصلاة، من ذلك انه كان ﷺ يعقد التسبيح على أصابعه.[86]

والوضعية الثانية ظهرت فيها الكف بالأصابع فى الخلفية الساكنة، وبرز فيها الإبهام ونصف السبابة فى إشارة إلى النصف، وقد وردت فى إطار معنى التراحم والتسامح بين القادر وغير المستطيع، من ذلك قوله ﷺ: " عن كعب بن مالك رضي الله عنه أنه كان له على عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى دين، فلقيه فلزمه حتى ارتفعت اصواتهما، فمر بهما النبي فقال: يا كعب (فأشار بيده كأنه يقول النصف)

فأخذ نصف ماله وترك نصفاً. وفى رواية أخرى (أن ضع الشطر)[87]

وهنا التفاتة سامية منه ﷺ حين دمج لفظ النداء بالإشارة، لكي لا يجرح المدين ويؤذى مشاعره، فساعده بطريق غير لفظيّ وهو قوع إشارة التراحم بعد النداء اللفظي والتفاتة تؤكد رأفته ﷺ ومعرفة منه بنفسية غير المستطيع.

4-إصبعين أو أكثر، جمع الأصابع.

وحتى المسائل الحسابية البسيطة استخدمت فيها الأصابع، إذا إن الدور الحسابي دور مهم فى تحديد القصد بدقة، وقد استخدم فيه إصبعان أو أكثر، من ذلك أن رجلا أتى النبي فقال: يا رسول الله، كيف أقول حين أسأل ربى ؟ قال: " قل اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، وارزقني (ويجمع أصابعه إلا الإبهام) فان هؤلاء تجمع دنياك وآخرتك ".

وهنا تظهر بلاغته ﷺ فقد عَلِمَ بفطرته أن هذه الأربعة متقاربة مجموعة على صف واحد، وعلم أنها مثال جيد يمثل به للرجل البسيط كيف يجمع بين دينه ودنياه فى مرضاة الله على صراط مستقيم لا حياد فيه ولا تقصير، وربما لهذا استبعد الإبهام لأنه يسير فى إشارة أخرى، ناحية مخالفة لا يريدها الرسول ﷺ لما توحيه من مخالفة لأوامر المولى عزّ وجلّ، أو الميل إلى جانب على حساب الآخر.

وقد استخدم الرسول ﷺ الأصابع الخمس بالكف كلها كإشارة تنبيه على الحقوق من ذلك قوله الكريم، عن أبى سعيد الخدرى ﷺعن النبي قال: " ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، ولا فيما دون خمسة زود صدقة، ولا فيما دون خمس أواق صدقة " وعن يحيى بن عمارة قال: سمعت أبا سعيد الخدرى يقول: سمعت رسول الله يقول: وأشار النبي بكفه بخمس أصابع، ثم ذكر بمثل حديث بن عيينه أحد الرواة السابق".[88]

فحين أراد أن يوزع الحقوق ويحددها احتاج الأصابع الخمس جميعها، ومن ثم كان القصد هنا هو العدّ والتحديد فى صورة مادية بحته، حتى لا تضيع الحقوق. وتحمل الكف كلها بأصابعها الخمسة مرتفعة ممدودة فى وجه المخاطب إيحاء جذب الانتباه والتركيز على الموضوع، والإلمام بحدوده، وهى مادة جيده للتوصيل والتواصل البصري كذلك، من خلال متابعة المتلقي لحركته ﷺ فى الانتقال من نقطة إلى أخرى مؤكداً على تكرار " الخمسة " وهو ما يدعم المعلومات التى يقدمها فى رسالته ويجعلها أرسخ فى الذهن.

المهارة الثانية للأصابع واليد هي: الرسم " فإنه أسلوب تعليميّ يجلو الأمر ويوضحه أتم توضيح... وإنه لمستوى رفيع فى التوجيه والإبلاغ أن يكون الرسم أداة فى قوم أميين" [89]وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الوسيلة التعليمية حين تكلم عن طريقي الخير و الشر، والأمل والأجل من ذلك قوله: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطّ النبي خطاً مربعاً، وخطّ خطا فى الوسط خارجاً منه، وخط

خططاً صِغاراً، وهذا الذي فى الوسط وقال: هذا الإنسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به، وهذا الذي خارج منه أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه نهشه هذا.(90)

وفى موضع آخر رسم ﷺ طريقي الخير والشر.عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: " كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه، فقال هذا سبيل الله عز وجل، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله، قال: هذا سبيل الشيطان، ثم وضع يده فى الخط الأوسط ثم تلا الآية:" وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون.(91)

ويتضح هنا الأسلوب التركيبي الذي يؤدى إلى الأمر النهائي أو المحصلة من الصور المرسومة، التي من خلالها نفهم المغزى، كما أن تعدد ألفاظ الإشارة كان من مثيرات الانتباه التي جعلت السامع لا يغفل عن الطريق الواجب إتباعه دون زيغ وضلال. ومن ثم شكلت الصورة المرسومة معادلاً موضوعياً لدلالة الإتباع.

وحول فكرة بيان التقسيم لحساب الحقوق، استخدم ﷺ حتى الإصبعين فقط، وربما يعود ذلك لأهمية الأمر المطروح ومن ثم لازمته الإشارة بوصفها حُجَّة ذهنية يظل يتذكرها ويستحضرها كل من مرّ أو يمرّ بالموقف ذاته، من ذلك قوله الشريف عن البراء بن عازب قال: " سمعت رسول الله (وأشار بإصابعه وأصابعي أقصر من أصابع رسول الله) يقول: " لا يجوز من الضحايا: العوراء البين عورها، والعرجاء البين عرجها، والمريضة البين مرضها، والعجفاء التي لا تنقى".(92)

هذا وقد تأتى الأصابع مجتمعه إلى حد التشابك، واستُخدم هذا التصوير فى أكثر من موضع لأكثر من دلالة:

1- التشبيك قوة واتحاد:

عن أبى موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً " (وشبك بين أصابعه).(93) جاء التوكيد بـ (إن) هنا ليحول المتلقي من حقل الجهل إلى حقل اليقين، ولعل تصوير المؤمن بالبنيان وما فى ذلك من دلالة القوة والاتحاد والتماسك ما يتوافق تماماً مع دلالة الإشارة المذكورة من " تشبيك الأصابع "، فالأصابع المتفرقة فيها ضعف، أما المتضامة فيقوى بعضها بعضاً.

2- التشبيك تقاتل وتناحر:

وتأتى الأصابع مشتبكة فى المعنى المضاد، مما يدل على مدى ثرائها الدلالي، وتلونها بحسب مقتضى السياق، وتوظيفها بما يخدم المعنى ويسرع عملية التوصيل والتعليم ويجعلها أكثر دواماً فى أذهان المخاطبين. ومن ذلك قوله ﷺ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:" كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي،

يغربل الناس فيه غربلة، تبقى حثالة من الناس، قد مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا وكانوا هكذا (وشبك بين أصابعه) وفى رواية أخرى " إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا (وشبك بين أنامله) فالزم بيتك".(94)

3- التشبيك ملهاة:

وقد يأتي فعل تشبيك الأصابع بوصفه ملهاة وأداة للعبث والتشتيت ؛ لذا نهى رسول الله ﷺ عنه أثناء استحضار الصلاة، والذهاب إلى المسجد، لأنها من مشتتات الانتباه التي يجب أن يخلو ذهن المصلى منها.

من ذلك قوله ﷺ:" إذا مضى أحدكم إلى الصلاة فلا يُشبِّكَنَّ بين أصابعه، فإنه فى صلاة ".

وفى رواية أخرى: " إذا توضأ أحدكم فى بيته، ثم أتى المسجد كان فى صلاة حتى يرجع، فلا يقل هكذا (وشبك بين أصابعه) رواه الحكم عن أبى هريرة).(95)

وتحمل رؤوس الأصابع فى اجتماعها معنى التقليل أو صغر المساحة الزمنية، من ذلك قوله ﷺ: عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: " فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه (وأشار بيده يقللها).(96)

ثانياً: اليد (الكف) ووظائفها (قراءة فى السياق الدلالي)

استخدمت اليد للإشارة إلى سائر الأعضاء الأخرى، ويغلب عليها ورود ألفاظ الإشارة معها ومنها (هذا –ههنا – بهذا – هذه – هكذا) والأعضاء المشار إليه منها الوجه والكفين لبيان وقت وجوب الحجاب على المرأة، عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله وقال: يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح لها أى يُرى منها إلا هذا وهذا (وأشار إلى وجهه وكفيه).(97)

والأمر اللافت للنظر هنا هو الإشارة بوسيلة الإشارة نفسها والمقصود إشارته ﷺ لكفيه والتي تتعلق بالحركة المنبهة، وهى جزء من الصورة، ذلك أنه ﷺ أراد أن يوجه رسالة لكل فتاة بلغت وأدركت بوجوب التستر بالحجاب، لذا فقد استخدمﷺ السياقات البصرية والحركية إلى جانب السياق اللفظي البليغ فى العطف والجمع بين الوجه والكفين.

وكذلك احتل "الصدر" مواضع سياقية كثيرة، واحتمل دلالة التقوى، من ذلك قوله ﷺ عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم

حرام: دمه وماله، وعرضه".[98]

والتكرار من عادات العرب المألوفة، ولم يقتصر استعماله على اللفظ فقط، وإنما تجاوزه إلى الإشارة ولكليهما، الأهداف نفسها من تأكيد وحث وإيضاح.

ويشير فى موضع آخر إلى الصدر " محل التقوى " فيقول: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا لكن ينظر إلى قلوبكم ".(وأشار بأصابعه إلى صدره).[99]

إن الباحث فى مفردات هذا الحديث، وبدايته بالمؤكد (إنّ)، ثم النفي الذي يؤكد للمرة الثانية ثم العطف الذي يؤكد النفي للمرة الثالثة ليتفهم أن النظر هنا هو الثواب الذي لا يناله المسلم بشكله أو بجماله أو بقوته، وإنما بنيته السليمة الحَسَنة،" والنية محلها القلب " وكذلك التقوى مكانها القلب، لذا جاءت الإشارة هنا إلى هذا الوعاء المؤثر الذي بما امتلأ كان مؤشراً لمصير الإنسان عند الله، فكلما امتلأ القلب إخلاصا وصدقاً كان أقرب إلى قبوله عند المولى عز وجل، والأيمان فى القلب، من ذلك قوله ﷺ عن انس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول :" الإسلام علانية، والإيمان فى القلب (قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات) قال ثم يقول: التقوى ههنا، التقوى ههنا".[100]

وللتكرار دوره التأثيرى فى المتلقيِّ. واللفظ المكررً منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحب فى الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه أو من هم فى حكم المخاطبين ممن يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار.[101]

ومن ثم كان القلب هو العضو المميز فى الجسد وعليه المدار فى التحصيل المعرفي لما للإشارة مع التكرار من إلحاح فى التأكيد.

كذلك أشار ﷺ إلى رأس المخاطب ليدخله فى الصورة ومن ثم يستحضر عِظَم الموقف وكأنه يعيشه، من ذلك قوله ﷺ عن ابن حوالة قال: قال رسول الله ﷺ " يابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض القدس، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام والساعة يومئذ اقرب من الناس من يدي هذه ورأسك ".[102]

وجاءت الإشارة إلى الأنف فى قوله ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، الجبهة (وأشار بيده على أنفه) واليدين والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر.[103]

وجاءت الإشارة هنا حتى تزيل اللبس من نفوس السامعيين بعدم فصل الأنف عن الجبهة بدليل إلحاق ﷺ للإشارة بعد اللفظ، مؤكدة إحتواء الجبهة على عظمة الأنف وليست منفصلة عنها. ومن ثم عدة معها برقم واحد.

وجاءت الإشارة إلى " اللسان " وفيها شيء من الأخذ بالقوة نظراً لدلالته فى استدعاء العذاب والعقاب إذا أخطأ، من ذلك قوله ﷺ عن سفيان بن عبدالله الثقفى

ﷺ قال:" قلت يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به، قال: قل ربى الله ثم استقم، قلت: يا رسول الله ما أكثر ما تخاف على ؟ فأخذ رسول الله بلسان نفسه، ثم قال هذا "

وفى موضع آخر قال ابن عمر ﷺ: قال النبي ﷺ: إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا (وأشار إلى لسانه)".[104]

إن بلاغته ﷺ لاحدود لها، إذ جاءت الإشارة فى لطف منه – وهو المعصوم – إلى لسانه وذلك كى يؤكد للسامع أنه يخاف مما يفعله هذا العضو بالمرء.

أما الإشارة إلى الفم فقد جاءت بمعنى الإغراق فى الأمر، من ذلك قوله ﷺ: عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ؛ ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً " قال: فأشار رسول الله ﷺ إلى فيه ".[105]

وتتوالى صيغ العطف، والتكرار والمجاز للترهيب من أهوال يوم القيامة، وجاءت الفم تؤكد هذه الفكرة، وهى أن العرق المنساب بغزارة – وهو الأعمال السيئة – يتحول إلى بحار تغرق أصحابها.

وقد تأتى الإشارة باليد إلى تحديد المكان أو الجهة، من ذلك قوله ﷺ: عن ابن عمر ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" الفتنة من ها هنا، وأشار إلى المشرق" وفى موضع آخر يحدد المشرق بقوله: قال " أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال: إلا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدَّادين، عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان فى ربيعة ومضر".[106]

وقد عرف العرب اليد بالكتابة والخط، لذا أكد الرسول ﷺ هذه الوظيفة بالإشارة حين قال: عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:" كان رجل من الأنصار يجلس إلى النبي، فيسمع من النبي الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبي فقال: يا رسول الله أنى أسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه، فقال رسول الله ﷺ استعن بيمينك (وأومأ بيده للخط)".[107]

والإشارة هنا فيها تصوير لوضعية الأصابع والكف، المتخذة أثناء الكتابة، وفيه دلالة أن الكتابة تحفظ النصوص من الضياع أو من النسيان.

ولكنها قد تكون أداة للقتل كذلك، فعن أبى هريرة، عن النبي ﷺ قال: " يقبض العلم، ويظهر الجهل والفتن، ويكثر الهرج قيل: يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال: هكذا بيده فحرَّفها، كأنه يريد القتل ".[108]

وربما أشار هنا إلى عضو آخر فى الجسم وهو الرقبة التي يتم من خلالها القتل بأداة حادة تمسكها اليد.

ويتضح هنا إطلاق العرب لفظ القول على الفعل. أما ورود اليدين معاً فكان

يحمل دلالات أخرى، منها:

- الدعاء: عن أنس ابن مالك ﷺ قال: أصابت الناس سنة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب فى يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله هلاك المال وجاع العيال فدعوا الله لنا، فرفع يديه، وما نرى فى السماء قزعة. فوا الذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر ينحدر على لحيته ﷺ..[109]
- التكبير: كان ﷺ إذا كبر للصلاة نشر أصابعه. أي بسطها وفرقها مستقبلاً بها القبلة إلى فروع أذنيه.. وقيل أنه يمد أصابعه ولا يطويها فيكون بمعنى خبر رفع يديه مداً.[110]
- وقد يكونان أداة للحماية والوقاية من ذلك أنه ﷺ كان إذا سأل الله جعل باطن كفيه إليه، وإذا استعاذ جعل ظاهرهما إليه لدفع ما يتصوره من مقابلة العذاب والشر، فيجعل يديه كالترس الواقي من المكرو، ولما فيه من التفاؤل برد البلاء ".[111]

ونظراً لما فى اليد من نعمة وعطاء، فان اجتماعها يدل على الغزارة والوفرة، من ذلك عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ "أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً (وأشار بيديه كلتيهما) [112]

وفى اختيار لفظ (أفاض) ما يؤكد ما نذهب إليه من الدلالة. وفى الإفاضة تناص مع (الإسباغ) مع اختلاف مقاميهما فالمدلول بينهما واحد، وهو الماء الغزير الذي يزيل كافة الأدران ويغسلها.

تعليق عام على الأحاديث النبوية قيد الدراسة:

من خلال ما استعرضناه من أحاديث شريفة تبين لنا:

- أهمية الاتصال الصامت أو غير اللفظي أو الإشارة، وكيف أدت دوراً تكميلياً مع الاتصال اللفظي فى علاقة من التوافق والتجانس، شملتها بلاغة اللفظ وبلاغة الإشارة فى الوقت نفسه، فقد مثلت الإشارة خير دعم للمعنى فى الحديث الشريف، فكلاهما لا يتم بمعزل عن الآخر، وقد جاءا منجمين أن الحركة والإشارة تنقل خبرات ودلالات، وتعين الرسول ﷺ على أداء الرسالة بصورة أوضح وأوقع فى النفس.

لذا يمكننا القول بأن دلالات المعاني لا تحملها الألفاظ فقط بل والإشارات كذلك فى حالات مقاليه أو مقامية.

- برزت ظاهرة التكرار الإشارى فى مواضعها التي استدعتها لما فيه من استحضار لنفسيات السامعين وعقولهم، والتنبيه على أمور مهمة يجب العناية بها ومراعاتها فى حياة المسلم كي يكون ممن (يسمعون القول فيتبعون أحسنه) ومن ثم حمل التكرار فى الحديث (على المستويين اللفظي والإشاري) أهدافاً وفوائد معرفية وإدراكيه حققت غايات منها: التأكيد على جسامة أمور، وحثٍ على أدائها، وتنبيه على مغبة تركها، وترسيخاً لمعنى إيماني يدعو السامعين للتحلي به مرغّبا إياهم بالثواب الذي قد يسمو لصحبته ﷺ.
- قامت الإشارة فى الحديث الشريف بالاختزال ببراعة، تماماً مثل براعة الإيجاز فى الألفاظ، لكنها كانت أسرع فى إتمام الرسالة. لذلك حملت الأحاديث الشريفة ألفاظاً قليلة ومعان إشارية كثيرة.
- اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بنقل المقامين السياقي والحالي للحديث فى وصف تحليلي دقيق لأفعاله ﷺ وإشاراته، فكان الوصف التفصيلي الواعي من الصحابي راوي الحديث. هو الإضاءة الضرورية والمؤدية بدورها إلى فهم الحديث فهماً يسيراً.
- ارتبطت إشارات الرسول ﷺ فى أكثرها بأعضاء الجسم وحواسه، وربما يرجع ذلك إلى فكرة التنبيه على المسئولية المنوطة بها، ولأنها من وسائل تنفيذ السامعين للأوامر والنواهي الواردة فى الأحاديث الشريفة. لذلك نؤكد أن الحواس وأعضاء الجسم كان لها دور إدراكي كبير عند المتلقي، وكانت من وسائله ﷺ لتوصيل الرسالة.

قائمة المصادر والمراجع[1]

*** أولاً : المصادر :**

- التفسير وعلوم القرآن :

1- القرآن الكريم
2- الإمام القرطبى، الجامع لأحكام القرآن الكريم، القاهرة، دار الكاتب العربى، 1967 م، وهى نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب
- الحديث الشريف وشروحه:
3-الإمام البخاري، صحيح البخاري (طبعات مختلفة).
4- الإمام " أبو داوود"، سنن أبى داوود، بيروت طبعة دار الفكر، 1994م.
5- الإمام مسلم، صحيح مسلم (طبعات مختلفة).
6-العلامة المناوى، فيض القدير فى شرح الجامع الصغير، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1972م.

*** ثانياً : المراجع :**

7- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق : عبدالسلام هارون، القاهرة، وزارة الثقافة،2009م.
8- جلال الدين سعد، فلسفة الجسد، تونس، دار أميه للنشر، الطبعة الثانية،1993م.
9- ابن جنى، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، د.ت
10-الحموى (ابن حجه الحموى) : خزانة الأدب، بيروت، دار مكتبة الهلال، د.ت.
11-الراغب الاصفهانى، مفردات غريب القرآن، تحقيق:محمد سيد كيلانى، بيروت، دار المعرفة،د.ت.
12- الزبيدى (محمد بن محمد بن عبدالرازق الحسينى الملقب بمرتضى الزبيدى، تاج العروس فى شرح جواهر القاموس، موقع الوراق، شبكة المعلومات الدولية.
13- الزركشى، البحر المحيط، تحقيق : عبدالستار أبو غدة، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية، 1992م.
14-الزمخشرى، أساس البلاغة، بيروت، دار صادر، 1399هـ.

15- سعيد الوكيل، الجسد فى الرواية العربية المعاصرة، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2004م.
16- على زيعور، اللاوعى الثقافى ولغة الجسد والتواصل غير اللفظى فى الذات العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.
17- عمر محمد التومى الشيبانى، كتاب فلسفة التربية الإسلامية، طرابلس، المنشأة العامة للنشر 1975م.
18- فريد الزاهى، الجسد والصورة والمقدس فى الإسلام، المغرب، أفريقيا الشرق،1992م
19- محمد سليمان الأشقر، أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، 2003م.
20- محمد الصباغ، التصوير الفنى فى الحديث النبوى، المكتب الإسلامى، الطبعة الأولى، 1988م.
21- الحديث النبوى: مصطلحه – بلاغته – كتبه –، المكتب الإسلامى، الطبعة السادسة، 1990م.
22- محمد فؤاد عبدالباقى، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،2000م.
23- ابن منظور المصرى الأفريقى، لسان العرب،ج 4، 5،11،10، 12، 13، 14، 15.

*** ثالثاً : الدوريات والمجلات العلمية :**

24- إبراهيم جوخان، خطاب الجسم فى شعر العذريين: جميل بثينة نموذجاً، الأردن، جامعة جرمش، مجلة سرمدى، المجلد (8)، العدد (30)، السنة الثامنة، 2012م.
25-أميمية بدر الدين، بلاغة القسم فى الحديث النبوى الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد الثالث والرابع، 2010م.
26- سالم العطار، مبادئ تعليمية للمدرس فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، فلسطين، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد الثانى عشر، العدد الثانى، يونيو 2004.
27- سعد الدين منصور محمد، ملامح من البيان النبوى : دراسة تأصيلية، مجلة الإسلام فى آسيا، المجلد (8)، العدد(1)، 2011م.
28- سعدية موسى عمر البشير، السيميائية: أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، منتديات تخاطب.

29- صليحة بن عاشور، الاتصال الفعال من خلال خطبة الوداع، المغرب، جمعية الآفاق للتربية والثقافة ببوزنيقة.
30- عودة عبدالله، الاتصال الصامت وعمقه التأثيرى فى الآخرين فى ضوء القرآن والسنة النبوية.
* **رابعاً : المخطوطات والرسائل الجامعية :**
31- أسامة جميل عبدالغنى، لغة الجسد فى القرآن الكريم، رسالة ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2010م.
32- سعد بن مقبل بن عيسى العنزى، دلالة السياق عند الأصوليين : دراسة نظرية تطبيقية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 1428هـ.
33- صالح بن سليمان بن صالح، مكانة الحواس فى المعرفة فى الإسلام وتحقيقها فى المدرسة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى. والدراسة على موقع هدى الإسلام.
34- محمد سليمان العرين، الإشارة ودلالتها على الأحكام الشرعية، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، 1429هـ.
35- محمد شريف الشيخ صالح الخطيب، لغة الجسم فى السنة النبوية : دراسة موضوعية، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، 2010م.
* **خامساً : أبحاث ومقالات منشورة على مواقع الانترنت :**
36- أحمد بن راشد بن سعد، الاتصال غير اللفظى فى الشعر العربى، مدونة بلال عبدالهادى، مقال، طنجة الأدبية، 2009م.
37-حسن البشارى، الوسائل التعليمية والفن النبوى،الجمهورية نت، على الرابط التالى:
Http.www algamhouriah.net
38- حسن الهلالى، التواصل غير اللفظى فى التراث الإسلامى، ملاحظات أوليه، موقع:
Saidben graol.free.lal
39- سعيد أحمد جمعه، بلاغة الإشارة بين النظرية والتطبيق، ملتقى أهل الحديث.
40- عائشة الدرمكى، سيميائية التواصل بالعين فى النص الأدبى الكتابى، مدونة بلال عبد الهادى، 2012م.
41- عمر عبيد حسنه، الوسائل التعليمية عند الرسول صلى الله عليه وسلم، موقع إسلام ويب، المكتبة الإسلامية، إصدار رقم (77).
Islamwep.net

42- لطفى محمد الزغيِّر، التشويق وإثارة الانتباه فى الحديث الشريف، ملتقى أهل الحديث.
43- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
44- وحيد حامد عبد الرشيد، الاتصال غير اللفظى : لغة الجسد، منتدى إسراء حسين.
45- يوسف عبدالله الأنصارى، بلاغة التصوير بالحركة فى القرآن الكريم : دراسة فى البيان الحاكى، موقع جامعة أم القرى.

(1) ترتيب المصادر والمراجع فى هذه القائمة يهمل كلمات مثل (ابن) أو (أبو) أو(ال)، وسنرتب أسماء الائمة السابقين بحسب ما اشتهروا به من الأسماء وليس بحسب أسمائهم الأولى : مثال، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، يأتي فى حرف الباء وكذلك من اشتهر باسم معين من المحدثين مثل العقاد، والقرضاوى. وأما اغلب المعاصرين فقد التزمنا بترتيب أسمائهم على الترتيب الهجائي.

وسنرتب البيانات على النحو التالي :

1- اسم المؤلف 2- اسم الكتاب أو البحث، ثم المحقق أو المترجم إن وجد
3- بلد النشر 4- دار النشر 5- رقم الطبعة 6- سنة النشر

الهوامش

1. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكرى، ص28.
2. انظر فى تفصيل ذلك كتب:
*الحديث والمحدِّثون، محمد محمد أبوزهو،ص10.
*الحديث النبوى " مصطلحه،بلاغته، كُتب، محمد لطفى الصباغ، ص117.
*أصول الحديث وعلومه ومصطلحه، محمد عجاج الخطيب، ص26.
3. البيان والتبيين، الجاحظ، جـ1 ص75.
4. المرجع السابق،ص83.
5. لسان العرب، ابن منظور، مادة قول، جـ7،ص705.
6. سورة الرحمن، آية 1- 4.
7. البحر المحيط، الزركشى، ص92.
8. البيان والتبين، الجاحظ، ج1، ص78.
9. ويكيبديا الموسوعة الحرة : اللغة غير اللفظية Nonverbal language
10. المرجع السابق.
11. الاتصال غير اللفظي فى الشعر العربي، أحمد بن راشد بن سعيد
12. التصوير الفني فى الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص525.
13. أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، ص21.
14. سورة النجم، آية 4.
15. سورة النور، آية 54.
16. كان صلى الله عليه وسلم. " بديع الإشارة، غريب اللمحة، ناصع البيان".
17. بلاغة القسم فى الحديث النبوى الشريف، أميمة بدر الدين، ص2
18. آل عمران، أية 30
19. تفسير القرطبى، جـ 4، ص 81/80،وجـ6 ص273.
20. لسان العرب، ابن منظور، مادة "شور" ص434.
21. رسالة ماجستير، دلالة السياق عند الأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية)، سعد بن مقبل بن عبس الغزى، ص25.
22. إعلام الموقعين، ابن القيم، جـ1، ص298.
23. لغة الجسد فى القرآن الكريم، أسامة جميل عبدالعزيز ص23.
24. الخصائص، ابن جنّى، جـ1، ص36.
وقد أثبتت الدراسات النفسية الحديثة أن الإشارة " ذات تأثير أقوى بخمس مرّات من ذلك التأثير الذي تتركه الكلمات. " انظر فى تفصيل ذلك :مدى توافر مهارات الاتصال غير اللفظية لدى هيئة التدريس أحمد بن عبدالله بن صقير العرينى، ص8.
25. التشويق وإثارة الانتباه فى الحديث الشريف لطفى محمد الزغّير.
26. البيان والتبين للجاحظ، جـ1، ص77، وفى موضع آخر يقول " فإذا وافقت الإشارة

اللفظ، صارت صحيحة، وتمّ للمراد أركانه وصار المعنى بليغاً، ووصل إلى القلب فى صورة بهية ". ص42.

27. دلالة السياق، العروس، ص8.
28. لفظ الوحي فى القران، إسلام ويب.
29. تواصل غير اللفظي فى التراث العربي الإسلامي، حسن الهلالي ص70.
30. الاتصال اللفظي الفعال من خلال خطبة الوداع، د. صليحة بن عاشور.
31. الاتصال غير اللفظي فى الشعر العربي، أحمد بن راشد بن سعيد.
32. الاتصال الصامت وعمقه التأثيرى فى الآخرين فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، عودة عبدالله، ص9.
33. البيان والتبيين، الجاحظ، جـ1، ص64.
34. لغة الجسم فى السُّنَّة النبوية (دراسة موضوعية) محمد شريف الخطيب، نقلاً عن كتاب: الاتصال الإنساني ودوره فى التفاعل الاجتماعي، إبراهيم عرقوب جـ4، ص141(بتصرُّف)
35. مدى توافر مهارات الاتصال غير اللفظي لدى أعضاء هيئة التدريس، أحمد العريفى ص14.
36. الجسد والصور، والمقدس فى الإسلام، فريد الزاهي، ص13.
37. الاتصال غير اللفظي، وحيد حامد عبد الرشيد.
38. من بلاغة التصوير بالحركة فى القران الكريم،يوسف عبدالله الانصارى. وقد أطلق المؤلف مصطلح " البيان الحاكي" قاصداً به " التصوير بالحركة ".
39. اللاوعى الثقافي ولغة الجسد والتواصل غير اللفظي فى الذات العربية، على زيعور ص71.
40. المرجع السابق، هامش ص81.
41. فلسفة الجسد، جلال الدين سعد، ص43.
42. الجسد فى الرواية العربية المعاصرة، سعيد الوكيل، ص 46، وقد أطلق المؤلف على هذا السلوك مصطلح، السلوك الكينزي " باعتباره وسيلة من وسائل التواصل الإنساني " انظر ص 56.
43. الجسد والصورة والمقدس فى الإسلام، فريد الزاهي، ص7
44. المرجع السابق، ص10، " وقد صار جسد النبي صلى الله عليه وسلّم جسداً مرجعياً نموذجياً يتطلب الاحتذاء والمحاكاة "، ص38.
45. علم الفراسة ولغة الجسد، فخر الدين الرازى، المقدمة.
46. سورة الرحمن، آية 3، 4.
47. رواه ابن ماجة، جـ1، ص17.
48. سورة الجمعة، آية 2 وهى مكررة فى البقرة آية 129، وآل عمران آية 164.
49. سورة سبأ، أية 28.
50. سورة البقرة، آية 235.
51. سورة النجم، آية 5.

52. سورة يوسف آية 6.
53. فلسفة التربية الإسلامية، عمر محمد التومى الشيبانى.
54. اثر الإيماءات وفن الصمت البليغ، على عامر.
55. أفعال الرسول صلى الله عليه وسلّم ودلالتها على الأحكام الشرعية، محمد سليمان الأشقر، ص44.
56. سورة الإسراء، آية 36.
57. مكانة الحواس من المعرفة فى الإسلام، صالح العمرو.
58. الدلالات التربوية للحوار غير اللفظي، هدى المسعودي، ص 6.
59. الاتصال الصامت وعمقه التأثيرى فى الآخرين، عوده عبدالله، ص 34.
60. مبادئ تعليمية للمدرس فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية نايف سالم العطـــار، ص458
61. السيميائيات واستراتيجية وبناء المعنى، نصر الدين العياضى.
62. سيميائية التواصل بالعين فى النص الأدبي الكتابي، عائشة الدرمكى
63. اللاوعى الثقافى، على زيور، ص94.
64. لسان العرب، ابن منظور، جـ15،ص421.
65. والعرب تطلق على السَّبَّابة مسميات أخرى فهي: المسبحة، وهى المشيرة.
66. صحيح مسلم، جـ 17،ص192 " كتاب الجنة ووصف نعيمها "
67. فيض القدير، جـ 5،ص221.
68. لسان العرب، مادة (شور)،جـ4،ص437.
69. لسان العرب، ابن منظور، جـ14، ص365، وفى إمالة الراحلة ومد الإصبع إيحاء بالخضوع والإذعان لله.
70. صحيح البخاري، جـــ 4، ص81 والحديث عن سهل بن سعد عن النبي صـــلى الله عليه وسلّم
71. فيض القدير، المناوى، جـــ 3، ص49.
72. المرجع السابق، المناوى،، جـــ 2، ص194.
73. فيض القدير، جـ 6، ص37..
74. حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهاوى، جـ 3، باب خروج الصحابة عن الشهوات النفسية، نقلاً عن مسند أحمد، جـ 2، ص263.
75. صحيح البخاري، باب فضل من يعول يتيماً، ص451.
76. فيض القدير، جـ6، ص177.
77. النجارى، جـــ 4، ص 46.
78. سورة البقرة، آية رقم 229.
79. صحيح البخاري، جـ 4، ص 197، وفيض القدير، جـ 2، ص 172.
80. سورة القمر، آية 1.
81. لسان العرب مادة " حنا " جـــ14، ص203

82. فيض القدير، جـ 4، ص422.
83. المرجع السابق، جـ 4،ص423.[83]
84. فيض القدير، جـ6، ص 368، صحيح البخاري، جـ 3، ص 398، باب الإشارة فى الطلاق والأمور والخبث والفسق والفجور.
85. خزانة الأدب، البغدادي، ص6
86. فيض القدير، جـ 5، ص 233.
87. صحيح البخارى، جـ 2، ص181.
88. صحيح البخارى، جـ 1، ص394.
89. التصوير الفني فى الحديث النبوي، محمد الصباغ، ص526.
90. صحيح البخاري.
91. مسند احمد.
92. صحيح البخارى.
93. صحيح البخاري، جـ 1، ص161.
94. فيض القدير، جـ 1، ص353.
95. فيض القدير، جـ 1، ص321، ولسان العرب جـ10، ص446.
96. صحيح البخاري، جـ 1، ص 258، وقد تعنى الساعة هنا اللحظة.
97. سنن أبى داود.
98. صحيح مسلم، جـ8، ص11.
99. صحيح مسلم، باب تحريم ظلم المسلم وخله واحتقاره.
100. البخاري، جـ 2، ص33.
101. التكرار فى الحديث النبوي الشريف، د. أميمة بدر الدين، ص76، ويتوافق هذا الحديث مع قوله تعالى " ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب " سورة الحج، آية32.
102. سنن ابى داوود، جـ3، ص28.
103. صحيح البخارى، جـ3،ص398.
104. صحيح البخاري، جـ 1، ص231 /232
105. صحيح مسلم، جـ 1، ص196.
106. صحيح البخارى، جـ 23،ص398.
107. صحيح مسلم، جـ1، ص51، باب تفاضل أهل الإيمان.
108. صحيح البخاري، جـ 1، ص66.
109. صحيح البخارى، جـ1،ص257.
110. فيض القدير، جـ3،ص232.
111. فيض القدير، جـ 5، ص141.
112. صحيح البخاري، جـ 1، ص 106 باب من أفاض على رأسه ثلاثا.